

الكائن الثاني

أحمد زكيي أبو شادي



الكائن الثاني

تأليف

أحمد زكي أبو شادي



الكتاب الثاني

أحمد زكي أبو شادي

الناشر مؤسسة هنداوي

المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

بورك هاوس، شيبيت سرتيت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة

تلفون: + ٤٤ (٠) ١٧٥٣ ٨٢٢٥٢٢

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: <https://www.hindawi.org>

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: إيهاب سالم

التقديم الدولي: ١١٥٣ ١٥٢٧٣ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٣٥.

صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠١٥.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف مُرخصة بموجب رخصة المشاع الإبداعي: تَسْبُبُ المُصْنَفِ، الإصدار ٤٠. جميع حقوق النشر الخاصة بنسخ العمل الأصلي خاضعة لملكية العامة.

المحتويات

٧	تصدير
١١	شِعْرُ الْدِّيَوَانِ
١٣	الإضمار
١٥	الخلود
١٧	النوم
١٩	مشاعر الفن
٢١	في عيد الفطر
٢٣	الشراب المظمي
٢٥	الغراب السارق
٢٧	الحاءة
٢٩	الوروار
٣١	تغير
٣٣	عرائض الطيف
٣٥	تقلب السماء
٣٧	الأشعة الحمراء
٣٩	رُسُلُ السماء
٤١	إلى رابطة التوفيقية
٤٣	البقية
٤٥	الأوهام

الكتاب الثاني

٤٧	الأطيار والبراعم
٤٩	هالة القمر
٥١	الشباب المجدد
٥٣	النور الأسود
٥٥	الأبوة
٥٧	المرأة المسلسلة
٥٩	تحطيم الذرة
٦١	العِبَابُ

تصديرٌ

في هذه المجموعة خمسُ وعشرون قصيدة، معظمُها من شعرِي في سنة ١٩٣٤، أنشرها على سبيل النماذج، وقد طبعتُها مُستقلة لارتباطها بمعاني «الإضمamar» الذي عَبرَ عنه تعبيرًا رمزيًّا مجملًا حين خاطبَ الطاووسَ الأبيضَ:

أنتَ في الْحُسْنِ مُضْمَرُ اللَّوْنِ وَالْحَلْبَ
يَةِ كَالنُّورِ يُضْمِرُ الْأَلْوَانَ
إِنْ يَعْبُكَ الَّذِينَ لَمْ يَشْعُرُوا بَعْدُ فَيَكْفِي اجتِذابُ الْفَنَانَا

وقد اقترحَ عليَّ غيرُ واحدٍ من أصدقائي الأدباء أن أقسِّم شعرِي وأطبعه طبعًا مستقلًا حسب موضوعاته؛ تيسيرًا للقراءِ، كما ظهرَ لي من قبل ديوان «مصريات» وديوان «وطن الفراعنة»، ولكنني أخشى أن يؤثِّي ذلك إلى كثرة تاليفي كثرةً صناعيةً لا أحبُّها، وسأحاول في اعتدالٍ تلبية اقتراحهم هذا كلما وجدَ داعًّا خاصًّا إلى ذلك.

ولا أودُّ أن أثقل هذه المجموعة الصغيرة بتصديرٍ طويلٍ؛ فأكتفي بأن أعزِّزْ توكيدي لصفات الشِّعرِ المستقلة توكيديًا لا يُنافي شغفي الشخصي بالموسيقى، التي ينبعُ بها شعرِي نبضًا ذاتيًّا في صميمِ بنائه لا في بهرج صناعته؛ فالموسيقى الشعرية يجب أن

^١ ديوان «فوق العباب»، ص ١٠.

تكون أصيلةً، مرادفةً للمعاني، متغلفةً في بيانها، لأن تكون صوراً من الترديد الإيقاعي الرَّنَان الذي لا يصحبه شيءٌ من صدق العاطفة، أو عمق الفكرة، بل كله ضحولة وسفسطة كلامية. ورحم الله ابن سعيد المغربي، صاحب «عنوان المرقصات والمطربات»؛ إذ قال عن علقة الفحل: «معاني الغوص في شعر علقة معدومة، وأقرب ما وقع له قوله:

أوردُتُها وصُدُورُ العيس مسْنَفَةُ والصُّبْحُ بالكوكب الْدُّرِّي مَنْهُورٌ

يشير إلى أن كوكب الصبح مثل سنان الحرية طعن به فسأل منه دم الشفق، وإذا تبين هذا المعنى كان من المرقصات، وقوله:

يَحْمِلُنَّ أَتْرُجَّةَ نَضْحُ العَبِيرِ بَهَا كَأَنَّ تَطَيَّابَهَا فِي الْأَنْفِ مَشْمُومُ

يشير إلى أنَّ ما نال هذه المرأة من مضمض السير واصفارار لونها كالأتُرْجَة، وأنها ما تحركت تزيد طيباً خلافاً للتحرك البشري، ومنه أخذ ابن الرومي وغيره تشبيه المرأة بالروضة لطيف ثغراها.»

رحم الله ابن سعيد المغربي الذي يقول مثل هذا القول في القرن السابع للهجرة عن علقة الفحل قريباً امرئ القيس، حينما لا نستطيع أن نقول بعض ذلك في القرن الرابع عشر الهجري عن الناظمين المزماريين، الذين استولى بعضهم على الصحافة بحكم وظائفهم أو علاقاتهم السياسية، وكادوا يدعون ملكية الشعر العربي قديمه وحديثه على السواء!

إن الشعر كغيره من الفنون ملكةٌ فطريةٌ يচقلها الاطلاع والتأمل، ولكنه قبل كل شيءٍ، وبعد كل شيءٍ، ملكةٌ فطريةٌ، ولا فائدةً لمن ليست له هذه الملكة في أن يتحايل عليها بالإيقاع والرنين الصناعي الذي ليست له بنيّةٌ شعريةٌ أصيلةٌ، كما أنه لا فائدةً من ليست له طبيعة مفكرة في أن يتظاهر بذلك في لُغة الإبهام والتهوييل والنعي.

وأعود فأكرر توكيدي لنزلة الشُّعر المستقلة، على أن تكون موسيقاه هي موسيقى المعاني التي تتبع الألفاظ والنبرات الملائمة لها، لا الألحان الصناعية الجوفاء التي لا تُظهر ولا تُضمر شيئاً من الجمال الشعري الأصيل. وعلى هذا الاعتبار أفرق بين الشاعر

الأصيل وبين الناظم المزماري، وإن لجأ الأخير إلى ألوان من العبث الإيقاعي الخلاب الذي أكاد أعدُه طراراً من الخلاعة والمجون. وشواهد ذلك كثيرة في نظم المناسبات الشائعة، وخصوصاً في شعر المدائح التقليدية. وأماماً شواهد الموسيقى الشعرية المطبوعة فما ثالثة في كلّ شعر قويٍ مطبوعٍ، قد يمْعِنَ أبداً في حديثٍ، ومنها هذه الأبيات للبحري التي ذكرها في غير اختيار:

وأعادَ الصُّدُودَ منه وأبْدَى
خُلُقاً مِنْ جفَائِهِ مُسْتَجَداً
نَ، وأمْسِيَ مَوْلَى وأصْبَحَ عَبْدَا
شَادِيًّا لو يُمْسِ بالحُسْنِ أَعْدَا
لِ، وعَرَضَتُ بِالسَّلَامِ فَرَدَّا
فَفَقَبَلْتُ جُلُنَارًا وَوَرَدًا
فَأَجَازَى بِهِ، وَلَا خُنْتُ عَهْدًا
وَارْتَلَى مِنْ جَوانِجَ لِيْسَ تَهَدَا!
تُ بَدِيلًا أو واجِدًا مِنْكَ نِدَا؟
ظَّا وأَحْلَى شَكْلًا وأَحْسَنَ قَدَا!

لي حبيبٌ قد لَجَ في الْهَجْرِ جَدًا
ذو فنونٍ يُرِيكَ في كُلِّ يَوْمٍ
أغْتَدَيَ رَاضِيًّا وقد بَتُ غَضْبًا
وَبِنَفْسِي أَفْدَى عَلَى كُلِّ حَالٍ
مَرَّ بِي خَالِيًّا فَأَطْمَعَ فِي الْوَضْ
وَثَنَى خَدَهُ إِلَيَّ عَلَى خَوْ
سِيدِي أَنْتَ! مَا تَعَرَّضْتُ ظُلْمًا
رَقَّ لِي مِنْ مَدَامَعَ لِيْسَ تَرْقَا
أَتْرَانِي مُسْتَبِدًا بِكَ مَا عِشْ
حَاشِ لِلَّهِ! أَنْتَ أَفْتَنُ الْفَأْ

ولا نزاع في أن أبا عبادة قد استوحى بوجданه مثالاً من الحسن عزيزاً لديه في صوغ هذه الأبيات الوصفية الرشيقية الجميلة، وإن جاءت استهلاكاً لقصيدة مدح، فالعاطفة غالبة عليها.

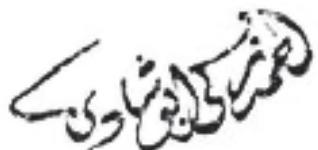
وهناك ضروب أخرى من الموسيقى الشعرية، ولكنها جميعاً لا تُفعَل؛ بل تواتي الشاعر مواطأة في اختيار ألفاظه، وتشكيل مقاطعها ونبراتها. وشتان بين ذلك وبين النظم الرنان الأجواف الذي ينادي أصحابه بأنه هو هو الشّعر، وكل ما عاده مما لم يملأ الأفواه نُطْقاً، والأذان دُويًّا، فليس من الشّعر الصحيح في شيء؛ بل هو أمتلة للركاكة اللفظية والتفاهة! وأمثال هؤلاء السادة تنحصر ثروتهم الموهومة في الرقة البيانية، وفي محفوظ الكلمات التقليدية، وفي المعاني المكرورة التي سئلها الدهر. وقد أفسدوا بافتتانهم الصناعي حتى الشّعر الغنائي، ولشعورهم بهذا الفقر لا يتورّعون عن الإساءة بتفسيرهم المريض لأرائنا النقدية، ولا تجاهاتنا الجديدة، ومنها ما يتجلّ في قصائد هذه

الكتاب الثاني

المجموعة التي أهديها على صغرها إلى أنصار الفن البصیر الطليق وأعداء العبودية
والآمّة.

ضاحية المطرية

في ٢٥ يناير سنة ١٩٣٥



شِعْرُ الْدِيْوَانِ

الإِضْمَار

نقيضةً ما تُبدي لعيني المظاهرُ
ولكنه فيما يُناقضُ ساحرُ
فغابتٌ ومن أمواجها الضوءُ عامرُ
فتبدو وإن تُحجبُ لحسّي الضمائرُ
إذا خدعتُ كالعالمين العناصرُ
وتَخَذَّلنا منها النُّهَى والمشاعرُ
ولا فاقها في وثبة الوهم شاعرُ
وكلَّ وجودٍ ضُدُّه فيه حائرُ
من النور يخفى وهو كالنور غامر١
ففي المؤمن المشهود يكمن كافرُ
لذلك دَهَرَ النَّاسِ بالنَّاسِ ساحرٌ!

تَأَمَّلْتُ في دنياي حتى وجدتها
وما كان هذا النَّقْضُ نَقْضاً بذاته
كمَا أَلَّفُ الأطِيفَ ضوءٌ موْحَدٌ
ففي كُلِّ شيء آخرٍ عاش مُضْمَراً
وما عالَمُ الذَّرَّاتِ ما العَلَمُ كَاشِفُ
تَقَلَّبُ الْوَانًا رِيَاءً مُجَدِّداً
وما بَذَّها في سُرْعَةِ الوَثْبِ طَائِرُ
فأَحْسَسْتُ أَنَّ الْكَوْنَ أَصْعَافُ ما أَرَى
وآمَنْتُ بِالْمَعْنَى الْخَفِيِّ فِي إِنَّهِ
تَوَحَّدَتِ الْأَضَادُ فِي كُلِّ كَائِنٍ
وقد ضَلَّ كُلُّ النَّاسِ سَاعَةً هَدِيَّهُ

¹ إشارة إلى أمواج النور الغير المنظورة.

الخلود

فأين ضلالاتي؟ وأين لي الهدى؟
خيوطُ به تبدا وتمضي على المدى
فتكونُ جسمِي رمزاً ما مرَ سرماً
ككاني، وأخرى إنْ تمت لم تمت سدى
أمثلُ ماضيِ الخلقِ واليوم والغدا
بنفسي وأحوي منه أصلاً ممهداً
ملايين منْ عمرِ الحياةِ مخلداً
وما الموتُ إلا الفردُ يحيى مبدداً
منْ الحيٍ في شتى الرسومِ ومفرداً

أموتُ وأحيا كلَّ يومٍ مجدداً
لقد حلتُ منْ فجر الزمانِ كأنني
ومثلك جسمي في النشوءِ نشوءاً
ملايين منْ حيِّ الخلاياِ كيانها
تطوَّرَ جسمي بل ونفسي، فها أنا
أجل، ذلك الآتي البعيدُ أحشهُ
كما كان جسمي ذرةً بعد ذرةً
فما الخلدُ إلَّا النوعُ يمضي مخلداً
وما الروحُ إلَّا كلُّ معنى نشيمهُ

* * *

فشاهدتُ فيك «الله» روحًا ومعبداً
فمن قبْلُ قد عاش «المسيح» مصفداً
حياتي وأضحي كلُّ حُسنٍ مُغرياً
متى كنتُ للآتي المؤملِ مُسعداً
وبحسبِي إذْ أنني أموتُ له الفدي

ومثلَّت لي أنتِ المعاني جميعها
لئنْ عشتِ في دنيا الأنامِ أسيرةً
أبنتِ لنا سرَّ الخلودِ فغرَّتْ
ولستُ أبالي بعد يومي إنْ أمتْ
شرحتُ له دينَ الجمالِ فحسبه

النوم



النوم (من تصوير شارل).

وي بلا خشية دون انتباه
ف، وفي جدّه قريرٌ ولاه
رِ مُبالاته بدنيا المشاعر؟
مِ وقد عانقا خيالاتِ شاعرْ؟
مِ بأحلامِ الغولي الرشيقةْ

هو روح الهدوء في جسمها الثا
لا يبالي الوجود، لا يعرف العرْ
أيُّ لهو أبهى من النَّوْمِ في غَيْـ
أيُّ حُسْنٍ أحلى من الحُسْنِ والنَّوْـ
هو هذى الحسناء ليست سوى النَّوْـ

وَتَعَرَّتْ، إِلَّا جَمَالَ الْحَقِيقَةِ
صَارَ جُزْءًا مِنَ الْحَيَاةِ وَكَلَّا
وَهُوَ مَعْنَى السَّلَامِ رَمَّاً وَأَصْلَا
وَمِنَ الْفَنِّ رُوعَةً وَافْتَانَا
كُلَّ حَيٍّ وَيُعِجِّزُ الْأَلْسَانَا
إِنَّهَا النَّوْمُ حِينَ يَلْقَى صِبَاحَهُ
فِي حِمَى النَّوْمِ لَمْ تَكُنْ بِالْمُتَاهَهُ!

خَلَعْتُ فِي الْهُدُوءِ كُلَّ دُثَارٍ
لَيْسَ بِدُغَّا إِذَا عَشَقْنَاهُ حَتَّى
نَحْنُ مِنْهُ، وَرُوحُهُ هِيَ مِنَّا
مِنْ حُلَى الذَّوْقِ مَظْهَرًا وَكِيانًا
يَشْمَلُ النَّوْمَ سَاحِرًا سُلْطَانًا
فَتَأَمَّلُ – يَا شِعْرُ – هَذِي الْمَلاَهُ
إِنَّهَا نَشْوَهٌ مِنَ الْفَنِّ كُبْرَى

مشاعر الفن

لِكَ فَوْقَ مَقْدُورِ النَّظَرِ^١
رَهَةً بِالْمَفَاتِنِ فِي الصُّورِ
بِجَمِيعِ إِحْسَاسِيِّ، ابْتَدَرِ!
نِي، بِالْكَلِيلِ مِنَ الْبَصَرِ
ثُكَّ حَظُّهَا فَوْقَ الْبَشَرِ
قُلُّهُ الْهَوَاءُ إِذَا اقْتَدَرِ^٢
مِثْلَ الْخَوَاطِرِ وَالْفِكَرِ
نِبْذَ الْجَحْوَدَ أَوْ اسْتَتَرِ
لِ لِكُلِّ فَنَانٍ شَعَرِ

عَيْنِي تُمَتَّعُ مِنْ جَمَا
قد نافستْ أَذْنِي الْبَصِيرِ
كَمِ مِنْ «جَوَابِ»، شِمْتَهُ
غَيْرِي يَرَاكِ بِغَيْرِ عَيْنِي
وَكَذَاكَ أَذْنِي مِنْ حَدِيرِ
فِيهِ جَمَالٌ لَيْسَ يَنْدَنِي
قَدْ سَالَ مَثَلُ الضَّوْءِ بِلِ
مَا الذَّنْبُ ذَنْبُ سَنَاهُ إِنْ
وَإِذَا تَشَبَّثَ بِالْخِيَا

^١ لا تستطيع العين الإنسانية أن تلحظ إلا جواباً واحداً من النور حينما الأذن الإنسانية تلحظ أحد عشر جواباً من الصوت، وجواب النور أو الصوت هو ما كانت موجته نصف موجة ما قبله، فالاذن في الإنسان أقوى شعوراً من العين.

^٢ تحتاج أمواج الصوت إلى مادةٍ كالهواء لنقلها خلافاً لأمواج الضوء.

في عيد الفطر

نظمت في عيد الفطر لسنة ١٣٥٣ هـ

ما العِيدُ إِنْ لَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ تَعْيِيدُ؟
وَالآنَ فِي كُلِّ يَوْمٍ حَوْلَنَا العِيدُ
وَمَا لِغَيْرِ مَعَانِيهَا الْأَنْشِيدُ
حِينَ الْفِدَاءُ لَهَا مَجْدٌ وَتَخْلِيدٌ
لَا الْحَيُّ فِيهَا وَلَا فِيهَا الْمَوَالِيدُ
وَإِنْ تَكُنْ كثُرْتُ فِيهَا الْمَوَاعِيدُ
بِئْسَتْ وَبِئْسَتْ لَنَا أَحْدَاثُهَا السُّودُ
فَمَا انتَصَفَنَا، وَلَمْ تُجِدِ الْأَسَانِيدُ
كَائِنَمَا الْعَدْلُ مَعْدُودٌ وَمَفْقُودٌ
فَلَمْ يَكُنْ لَهُمُو فِي الْحَقِّ تَسْدِيدٌ
وَمَنْ عَدَاهُمْ فَتَصْفِيَدُ وَتَشْرِيدُ
تُدَاسُ حِينَ جَنِي الْوَدَّ الْمَنَاكِيدُ
فَكُلُّهُمْ مِنْ رَضِيَ الْأَوْطَانَ مَطْرُودُ
فَقَدْ عَرَفْتُ بِهِ أَيْنَ الرَّعَادِيدُ
وَلَا وَدَادِي، فَمَا لِلنُّبْلِ تَبْدِيدُ

النُورُ فَاضَ فَأَهَلًا أَيُّهَا الْعِيدُ!
كَمْ مَرَّ عِيدٌ فَلَمْ نَحْفَلْ بِهِ أَلَمَا!
حُرْيَةُ النَّاسِ لَا شَيْءٌ يُعَادِلُهَا
بِهَا الْحَيَاةُ حَيَاةً لَا حُدُودَ لَهَا
يَا عِيدُ، أَهَلًا وَأَهَلًا بَعْدَ مَرْحَلَةٍ
تَلَكَ السِّنُونَ مِنَ الْأَعْمَارِ مَا حُسِبَتْ
طَغَى الْفَسَادُ بِهَا طَغْيَانٌ ذِي شَرَهٍ
شَالَتْ أَسَانِيدُهَا فِي كُلِّ مَظْلَمَةٍ
سَلْنِي؛ فَإِنِي خَبِيرٌ بِالذِي اقْتَرَفْتُ
سَلْنِي؛ فَإِنِي امْتَحَنْتُ الْقَوْمَ فِي نَوْبَيِ
لَا يَرْفَعُونَ سَوْيَ أَبْنَاءِ شِيعَتِهِمْ
حَتَّى الْمَوَدَاتُ إِنْ كَانَتْ مُنَزَّهَةً
بَرِئَتْ مِنْهُمْ وَلَوْ نَالُوا حَقْوَقَ دَمِي
إِنْ ضَاعَ إِحْسَانُ ظَنِي بَيْنَهُمْ سَرَفًا
وَمَا بَكَيْتُ عَلَى صَدْقِي وَلَا شَمَمِي

لكن بكىٰت على أهلي، على وطني وبيـن أقطابـه جـان ورـعديـدُ

* * *

كم تجرباتٍ خرافاتٍ أباديدُ!^١
فلن تقـيـه جـنـودـ أو تـقـالـيدـ
مـنـ بـعـدـ ما حـطـمتـ تلكـ الجـلـامـيدـ
وأـنـ عـمـريـ فـيـهـ الـآنـ مـعـدـودـ
حـلـىـ الـجـنـانـ،ـ وـفـيـهـ الصـفـوـ مشـهـودـ
مـنـ الـبـرـاءـةـ،ـ لـاـ خـتـلـ وـتـصـفـيدـ
كـأـنـماـ قـدـ شـدـاـ بـالـسـحـرـ «ـداـوـودـ»ـ
وـالـأـمـسـ رـنـحـنـيـ هـمـ وـتـنـكـيدـ
وـيـشـمـلـ النـاسـ تـعـيـيـدـ وـتـجـدـيدـ
وـالـجـوـ وـالـنـاسـ أـضـوـاءـ وـتـغـرـيـدـ

يا عـيدـ،ـ أـهـلـاـ!ـ لـعـلـ التـجـرـبـاتـ مـضـتـ
لـكـلـ ظـلـمـ فـنـاءـ مـنـ طـبـيعـتـهـ
مـاـ أـجـمـلـ النـورـ فـيـ قـلـبـيـ وـفـيـ نـظـارـيـ!
فـالـآنـ أـفـهـمـ مـعـنـىـ العـيـدـ فـيـ مـرـاحـ
وـأـفـهـمـ الـمـلـبـسـ الـحـالـيـ كـأـنـ لـهـ
وـأـفـهـمـ اللـهـوـ الـلـوـانـاـ مـجـسـدـةـ
وـأـسـتـسـيـغـ مـنـ الـأـطـفـالـ زـامـرـةـ
وـأـسـتـطـيـبـ لـهـمـ رـقـصـاـ يـرـنـحـنـيـ
يـهـنـيـ الـبـعـضـ بـعـضـاـ دـوـنـ مـاـ حـذـرـ
كـأـنـماـ الـأـرـضـ قـدـ عـادـ طـهـارـتـهـاـ

^١ أباديد: ضائعة.

الشراب المظمي

يَزِيدُ، وَيَضْحُكُ مِنَ الْمَلَأِ
كَمَاءٌ ثَقِيلٌ يَزِيدُ الظَّمَاءَ^١
فَهَلْ بَعْدِ خَدْعَتِهَا مِنْ نَبَأِ؟
سَوْى عَبَثٍ بِالضَّلَالِ اجْتَرَأَ؟
وَإِنْ عَاهَدْنَا إِخْرَاءَ الْمَلَأِ؟

شَرِبَنَا فَلَمْ نَلْقَ إِلَّا الظَّمَاءُ
وُعُودُ السِّيَاسَةِ أَوْ بِرْهَا
لَقَدْ خَدَعْنَا السَّنِينَ الطَّوَالَ
أَتَعْرُفُ لِلصَّدِيقِ مَعْنَى جَدِيدًا
أَتَعْرُفُ هِيَهاتٍ يُرْضِي هَوَاهَا

^١ الماء الثقيل: هو الذي يدخل عنصر الأيدروجين الثقيل (بدل الأيدروجين المألوف) في تركيبه.

الغراب السارق

للغراب افتتان بالسرقة وإن لم يجِن شيئاً من بعض ما يسرقه مثل الأدوات المنزلية الخفيفة ونحو ذلك.

* * *

وناهيَا كُلَّ خَيْرٍ
والجبنُ عنوانُ ضَيْرٍ؟
تَنَلَّ مِنَ النهِيِّ مَغْنِمٌ!
لديكَ لَا يَتَصَرَّمُ!
وَكُنْتَ أَعْجَبَ سارقًا!
بِئْسَ الْمِزاجُ الْمَنافِقُ!
وَإِنْ أَبَيْنَا عُيوبَكَ
لَمْ يَدْرِهِ مَنْ يَعِيبُكَ
وَالكُلُّ عَيْنَ وَسَمْعٌ
لَبَّاكَ أَيَانَ تَذَعُّو
بعضًا، وَذَلِكَ فَرْضٌ
أَمَّا الإِخَاءُ فَبُغْضٌ!

يَا خاطِفًا عُشَّ غَيْرٌ
مَا لِي أَرَاكَ جِبَانًا
لَكُمْ سَرَقْتَ وَإِنْ لَمْ
كَأْنَما الشُّرُّ طَبْعٌ
لَكُمْ خَطْفَتِ الْمَلَاقِعُ
هَلْ كَانَ ذَاكَ مِزاحًا؟
لَكُنْ غَفَرْنَا ذِنْوَبَكَ
هَذَا التَّعَاوُنُ بِيَنْ
إِنْ صَحْتَ أَقْبَلَ جَمْعٌ
جَيْشٌ لِنَوْعِكَ وَافِ
وَالنَّاسُ يَأْكُلُ بَعْضٌ
أَمَّا السَّلَامُ فَحَرْبٌ

المدأة

أم أنها مُعَلَّقةٌ
في مَسْبِحِ الحقائقِ؟
ولا لزاهي عَيْشِها
الْحُرَّةُ الْهَنِيَّةُ
وتَرَفُّضُ القناعَةَ
وإِنْ غَدُوا أَحْلَاسًا
لشَرِّهم دافعةٌ
على الطُّيورِ الْخَيْرَةِ
وَقَبْلَها الغَبرَاءَ
نَعيِّشُ حَقًّا أَهْلَها
وإِنْ تَصِدْ أَسْمَالَنا
وأنْصَفتْ مَنْ غُبِّنَا
سابحةً شاعرًا!

طائرةً مُدَقَّةً
على عُلوٍ شاهقٍ
لم تكترث لِعُشُّها
لكنها الجريئةُ
تحترفُ الشجاعةَ
ولا تُبالي النasa
وكم ترى نافعةٌ
فأصبحتْ مُؤمَّرةً
ونالتْ السماءَ
كأنما نحنُ لها
وإِنْ تَنَلْ أَفْرَاخَنا
فكِمْ أَزَالْتُ ذَرَنَا
ثمَ مَضَتْ طائرةً

الوروار



الوروار (أكل النحل).

رِ نظيرًا لدى الجمالِ النظير؟
لَا كما نشهيه في التصوير؟
در يقضي على الرشيق الصغير؟

يا عزيزَ الجمالِ، ما لَكَ لم تَدْ
أم هو الحسن يَعشقُ الحُسْنَ مأكو
أم هو الطبعُ يجعلُ الفتانَ القا

وَانِ كالزهْرِ فِي الرَّبِيعِ النَّضِيرِ
 مِلَى الْبَاحِثُ الدَّقِيقُ الْجَهِيرِ
 رَةٌ أَوْ مُثَلَّ لَهْفَةٌ لِلْخَمِيرِ
 نِي لِأَرْدِيَتَ كَالْخَنْوُنَ الْأَسِيرِ
 دِ وَبِالنُّورِ وَالْهَوَى وَالْزُّهُورِ؟
 لَامٌ فِي عَالَمِ النَّبَاتِ الْقَرِيرِ
 لِنَفْوِيْسِ عَدِيدَةٍ وَشَعُورِ؟
 حُلِقْتُ لِلْهَوَى وَحُلُوِ العَبِيرِ!
 كَمْ فُتِنَّا بِمَا حَمَلْتَ مِنَ الْأَلْ
 وَبِمَرْأَى مُنْقَارِكَ الَّذِي طَالَ كَالْحَزْ
 وَبِعِينِيْكَ كَالْيَوْاقِيْتِ فِي الْحُمْ
 كَمْ فُتِنَّا وَلَوْ جَزَيْنَا الَّذِي تَجْ
 كَيْفَ تَجَنَّيْتَ عَلَى الْبَصِيرَةِ بِالشَّهْ
 رُسْلُ الْحُبُّ وَالْمَلَاحَةِ وَالْأَحَ
 كَيْفَ تَجَنَّيْتَ؟ وَهَلْ غَنِيَ النَّحلُ إِلَّا
 كَمْ ضَحَايَا هَضَمْتَهَا! كَمْ ضَحَايَا

تغير

عن الشاعرة إلا هويلر ولكوكس، مهداة إلى الصديق الشاعر محمد أحمد رجب،
المحامي الذي اقترح على ترجمتها وارتضاها.

* * *

تَغَيَّرْتُ؟ نَعَمْ، هَذَا اعْتِرَافِي
وَإِنْ أَدْمَ الصَّدِيقَةَ لَمْ يُبَدِّلْ
وَلَكِنْ سَحْرُ أَيَامِي بِحُلْمِي
مَضَتْ مِثْلَ الرُّؤْيَى مِنْ ذَهَنِ غَافِ
لِمَاذَا أَنْتَ فِي شَبَّهِ اتَّهَامِ
إِذَا غَدَتِ الْقُلُوبُ كَكُلُّ شَيْءٍ
فَمَا الْأَطْيَارُ وَالْأَزْهَارُ جَمْعًا
وَإِنْ ظَنَّتِ ثَوَابَتِ فِي جَلَالِ
وَهَذَا الْوَجْهُ عَامًا بَعْدَ عَامٍ
وَأَشْهَى مَا نُرَجِّي بَلْ وَشَتَّى
وَكَيْفَ نَرُومُ لِلإِنْسَانِ قَلْبًا
يَشْبُّ الْعَامُ عَنْ فَيْلَاتِ مَايُو^١

الكائن الثاني

كذاك حياؤنا، فلربَّ خافي
هواها ليس أشهى من هوانا
ولن يُكْ بارداً، لكن سنمضي
أبى الورُّ البنفسج إذ دعانا

عرائس الطيف

استيحاء الطيف الشمسي

أَلْوَانُ أَثْوَابُ الْجَمَالِ؟
عَنِ الْمَلَاهِةِ وَالدَّلَالِ
فُ قِصَارَهُنَّ مِنِ الطَّوَالِ^١
تِ بَاخْلَاتٍ بِالوَصَالِ
وِرِ فِي الظَّلَامِ وَبِالخَيَالِ^٢
يَ تَكَادُ شَتَّلُ اشْتِعالٌ^٣
حَةٌ وَالرَّشَاقةُ وَالنَّوَالُ
مِنْ ذَلِكَ الدُّرُّ الْمُسَالِ^٤
أَمَمُ الْأَشْعَةِ فِي اقْتَالٍ

أَنْتَنَّ الْوَانُ أُمُ الـ
كُلُّ لَهَا رَمْزٌ يَنْمُ
مُتَمَوِّجَاتُ الْحُسْنِ، لُطْـ
كِمْ بَعْدَكُنَّ مُحَجَّبًا
عَبَّثَ بِاللَّوَاحِ الْمُصَوْـ
وَضَنِينِيَّةً بِاللَّمْحِ وَهــ
أَنْتُنَّ أَمْثَلَةُ الصَّراـ
وَبَنَاتُ كُلُّ مَكْوَكِـ
فِي حِينٍ تَمَلأُ كَوْنَنَا

^١ ألوان الطيف الشمسي سبعة، وتبدأ بالأحمر، ويليه البرتقالي فالأصفر فالأخضر فالزرق فالبني، وأخيراً البنفسجي، وذلك حسب طول أمواجها.

^٢ إشارة إلى الأشعة فوق البنفسجية، وهي أقل طولاً من الأشعة البنفسجية، ولها تأثير فوتونغرافي معروف.

^٣ إشارة إلى الأشعة تحت الحمراء التي هي أقرب بخواصها إلى الحرارة منها إلى الضوء.

^٤ إشارة إلى قوس قزح وتأثير قطرات المطر المنتشرة في الجو في تكوينه.

شَتَّى الصِّفَاتِ صِفَاتُهَا
لَا يَدْعُ إِنْ خُلِقَ الْوُجُوْهُ
إِلَى الظَّلَالِ وَلِلأَشْفَعِ
وَيَعْوُدُ بَعْدُ مَكَرَّاً
إِنَّ الْحَيَاةَ مِنَ التَّنَوُّعِ
لِيُسَ الْخَلُودُ سَوْيَ مُرَا

وَأَقْلُهَا شِبْهُ الْمَحَالِ^٥
دُّ منَ الْأَشْعَةِ وَالظَّلَالِ
شَعَةٌ كُلُّ مَوْجُودٍ يَحْالُ
فَإِذَا الْخَلُودُ هُوَ الزَّوَالُ
وُعْ في انتِقالٍ وَانتِقالٍ
دِفِ «ضَدِّهِ» فِيمَا يُقَالُ

^٥ إِشارةٌ إِلَى الأَشْعَةِ الكُوْنِيَّةِ وَغَيْرِهَا، وَصِفَاتُهَا مِنْ أَعْجَبِ الصِّفَاتِ فِي هَدْمِ هَذَا الْوِجُودِ وَبِنَائِهِ.

تقلب السماء

حَلَّتْ قَتَامَتَهَا مَحَلَّ بَهَاء١
وَتَدَرَّرَتْ بِثِيابِهَا السَّوْدَاء٢
عَنْ أَهْلِ هَذِي الْأَرْضِ أُورَثَهَا الضَّنْي؟
هَذَا لِتَجْتَذِبَ التَّالِقَ وَالسَّنَا
تُسْلِى إِذَا لَاقْتُ هُمُومَ الْأَرْضِ؟
كَمْ حَادَثٍ كَالثَّاقِبِ الْمُنْقَضِ!
نَزَرِي بِكَوْكِبِنَا الصَّغِيرِ شَقَاءٍ
فَإِذَا السَّمَاءُ أَبْتُ تَدُومُ سَمَاءً
أَلْوَانُهَا صُورًا مِنَ الْأَحْزَانِ
صُورُ الشَّقَاءِ وَآيَةُ الْعُدوَانِ

أَوْكَلَمَا نَأَتْ السَّمَاءُ عَنِ التَّرَى
وَنَضَطَّ بِأَقْصَى الْبُعْدِ زُرْقَةً لَوْنَهَا
أَهُوَ التَّقْلُبُ طَبْعُهَا أَمْ بُعْدُهَا
الْأَرْضُ مَهْدُ الْأَنْبِيَاءِ، وَحَسْبُهَا
أَمْ لِلْسَّمَاءِ هُمُومُهَا، وَهُمُومُهَا
كَمْ فَوْقَ أَرْضِ النَّاسِ مَأْسَاةٌ طَغْتُ!
نَدْعَى ذَوِي الْعَقْلِ الرِّجِيفَ وَلَمْ نَزَلْ
وَكَانَمَا التَّفْكِيرُ رَمْزٌ خَرَابِنَا
وَلَوْ انتَبَهْنَا رُبِّمَا عَنَّتْ٣ لَنَا
وَلَعَلَّ هَذَا حَالُهَا، فَأَمَامَهَا

١ تستطيع الأشعة الزرقاء أن تلوّن السماء الأرضية؛ لأنّ ذرات الهواء تمزقها نظراً لصغر موجاتها؛ فتسقط ونرى السماء زرقاء بسبب ذلك، ولكن كلما ارتفعنا في الجو وخفت الهواء لاحت السماء زرقاء غامقة، ثم بنفسجية غامقة، ثم بنفسجية معتمة، ثم رمادية، ثم سوداء.

٢ يقدر ذلك على ارتفاع ١٤ ميلاً عن سطح الأرض.

٣ عنّت لنا: ظهرت لنا واعترضتنا.

الأَشْعَةُ الْحَمَراءُ

كالحرب في وَبَاتِهَا^١
مُتَمَادِيًّا كَطُغَاتِهَا
عِتَهِ كَسْلَمِ أَبَاتِهَا؟
جَاسُوسَةً بِصَفَاتِهَا
مِنْ خَالِهِ كَعُذَاتِهَا

مَا لِي أَرَاكِ جَرِيئَةً
قَدْ طَالَ مَوْجُكِ زَاهِرًا
حِينَ الْبَنْسُجُ فِي وَدَا
أَخْفَيْتُ تَحْتِكِ^٢ عُصَبَةً
نَقَلْتُ لَنَا صُورَ الظَّلَّا

* * *

أَتَرَى مِنَ الْأَلْوَانِ رَمْ—
زُ حِيَاتَنَا وَحِيَاتَهَا؟
طُفُّهَا وَصُورَهُ ذَاتَهَا!

هَذِي عَوَاطُفُنَا عَوَا

^١ الأَشْعَةُ الْحَمَراءُ هِي أَطْوَلُ الأَشْعَةِ مَوْجًا، إِذْ يَبْلُغُ عَدْدُ مَوْجَاتِهَا فِي الْبَوْصَةِ الْمُرَبَّعَةِ ٣٣٠٠٠ مَوْجَةً، وَعَكَسَ ذَلِكَ حَالُ الْأَشْعَةِ الْبَنْسُجِيَّةِ؛ إِذْ يَبْلُغُ عَدْدُ مَوْجَاتِهَا فِي الْبَوْصَةِ الْمُرَبَّعَةِ ضَعْفًا ذَلِكَ، أَيْ ٦٦٠٠٠ مَوْجَةً.

^٢ إِشَارَةٌ إِلَى الْأَشْعَةِ تَحْتَ الْحَمَراءِ الَّتِي تَسْتَعْمِلُ لِلْفُوْتُوغرَافِيَّا فِي الظَّلَامِ.

رُسُلُ السَّمَاءِ

الأَشْعَةُ

وَمِنَ الشَّمْوِسِ تَدَفَّقِي!
مَا الشَّعَاعُ بِمَخْفِقٍ
بِلْ أَصْلُهَا لِمُحَقِّقٍ
مُكِّ فِي الْفَضَاءِ الْمُطْبِقِ
شَبْهُ الْكَثِيفِ الرَّئِيقِ
هاتِي حَدِيثَكِ! أَشْرِقِي!
أَتَصْدِيكِ الْأَجْوَاءُ؟ كُلًا
سَهْمُ الْحَيَاةِ وَسِرُّهَا
لَا بَدْعَ إِنْ نَفَذْتُ سِهَا
نَفَذْتُ، وَإِنْ يَكِ طَيْهُ

* * *

وَمِنَ الشَّمْوِسِ تَدَفَّقِي!
طُولٌ بِعَطْفِ الْمُشْفِقِ
جَمْعًا فَيَكْفِي مَا بَقَىٰ^٢
مُ وَحْجُبٌ بِأَسِ الْمُحْرَقِ^٣
أَحَادِثُهَا لِمَدْقَقِ!
هاتِي حَدِيثَكِ! أَشْرِقِي!
وَتَمَوَّجِي مَا شَئْتِ فِي
إِنْ لَمْ تَنْلِكِ عُيُونُنَا
يَكْفِي الرَّحِيمُ بِنَا الْحَلِي
رُسُلُ السَّمَاءِ وَعِنْهَا

^١ تعادل مادة الجو طبقة من الرَّئِيق سُمكها ستة وسبعون سنتيمترًا.

^٢ إشارة إلى ما لا تراه العين البشرية من هذه الأشعة.

^٣ إشارة إلى الأشعة الشمسية المحرقة التي يرددُها الجو الأرضي.

* * *

هاتي حديثك! أشرقي!
إني أحسُك بالخِيَا
وأرى العلِيمَ محدّقاً
لم يبلغِ الْعِلْمُ المدّى
ويَعودُ بعَدَ ثَرَائِيهِ
وَمِنَ الشَّمْوِسِ تَدَفَّقِي!
لِكَزَاحِرٍ مُتَالِقِ
كالسَّائِلِ المُتَمَلِّقِ
إِلَّا مَدِّي لِمُحَاجِقِ
فِي مُثْلِ حَظِّ الْمُمْلِقِ!

إلى رابطة التوفيقية

حَيَاً بها صاحبُ الديوان زملاءه خرجي المدرسة التوفيقية في شخص جمعيتهم.

* * *

حُرّ أهدي إليك أحلى الأماني
مِنْ حنانِ، فلم تَغِبْ عن جَناني
نَا لمعناكِ بين أسمى المعاني
لَي إِذا عُدَّ غَيرُهُم إخوانِي
دُّ إِلَيْهَا نَحْنُ كُلُّ الحنانِ
ضِرِّ ولكن هوايِ منْ عِنْفوانِي
فِقْ في حُبِّهِ كطفلِ أناي
عَ بِصَحْرَاءِ عَالَمِ النَّسِيَانِ
نَا مِنْ الْحُسْنِ وَالْغَنْيِ وَالْبَيَانِ؟!
نَ وَجَمَعْتِ حَوْلَنَا كُلَّ آنِ
لَ هُوَ الْحَيُّ وَحْدَهُ فِي الزَّمَانِ
وَنَنْسِي صُرُوفَ جَانِ وَجَانِ
مِنْ عِدَاءِ، وَحُبُّهُمْ لِلْجَبَانِ
بِ، فَلِيَسْتُ عُهْوُدُهُ لِلْهَوَانِ

مِنْ أَمَانِي طُفُولَتِي وَصَبَائِي الـ
ذَكْرِيَاتُ تَقَدَّسْتُ فِي جَنَانِي
وَهِيَ حَسْبِي الْقَرْبَانُ أَزْجِيهِ عِرْفَا
أَنْتِ يَا مَجْمَعَ الْأَجْلَاءِ مِنْ أَهْـ
أَنْتِ حِصْنُ لِامْنَا الَّتِي لَمْ نَزَلْ بَعْـ
قد عَرَفْتُ الْمَشِيبَ بَعْدَ الصِّبا الْغَضْـ
كِيفَ يَدْرِي الْمَشِيبَ قَلْبِي الَّذِي يَخـ
مُولَعاً دَائِماً بِكُلِّ هَوَى ضـ
بَا حَثَّا كَاشِفًا عَنِ الْأَمْسِ أَلْوـ
فِإِذَا أَنْتِ قَدْ ظَفِيرْتَ بِهَا إِلـ
وَإِذَا عَهْدُنَا الدِّرَاسِيُّ مَا زـ
وَإِذَا نَحْنُ عِنْدُهُ نَنْهَلُ الْوَدـ
بَيْنَمَا النَّاسُ حَظِّهِمْ فِي فَنَونِـ
كُلُّ شَيْءٍ يَهُونُ إِلَّا غَنَى الْقَـ

البقيّة

إلى صديقي الشاعر صالح جودت هذه القصة الغرامية وقد جلس إلى حبيبته
يتقاسمان في هناءهما قطعة من الحلوي فتخاصما وافترقا إلى غير لقاء، وبقي
محفظاً بتلك البقية منها للذكرى الشجيبة.

* * *

بعد أن ذابَ في النَّوْيِ أَيَّ ذَوْبٌ؟
في فُتُونِ الصَّفُوْعِ عَبْدُ يُلْبِي
وَوَيْ وَأَحَنُوا عَلَى جَنَاهَا الأَحَبِ
وَأَنَا كَالخَرِيفِ فِي وَتْبِ قَلْبِي
وَلَكُنْ بِهِ أَسَى كُلَّ حُبِّ
رِي وَحَسْبِي لِقَاؤُهَا العَذْبُ حَسْبِي
مِنْ زَمَانِ مُحَارِبٍ كُلَّ صَبَّ
ضَحْكَاتٍ كَأَنَّهَا مَحْضُ نَهْبٍ
صُورًا لِلظَّمَاءِ تُغْنِي وَتُسْبِي
ءَ وَرُوحِي تَخْضُلُ مِنْ كُلِّ خَصِّبٍ
تِي بَسِّرُ الْحَيَاةِ فِي كُلِّ قَلْبٍ
وَكَأْنِي مُشَارِفٌ شَمَّ رَبِّي
فِي وَعْطَرْتُ مِنْ شَذَّى الْخُلْدِ لُبِّي

أَنِّي حَلْوَى الْغَرَامِ أَمْ أَنْتِ قَلْبِي
قَدْ جَلَسْنَا نَذْوَقُ مِنْكِ مِرَارًا
وَهِي تَحْنُو عَلَيَّ بِالْبَسْمَةِ الشَّاشِ
وَهِي مَعْنَى الرَّبِيعِ رُوحًا وَعَطْرًا
جَمَعْتُنَا الْأَقْدَارُ مُعْجَزَةَ الْحُبِّ
جَمَعْتُنَا مِنْ حَيْثُ نَدَرِي وَلَا نَدَرِي
جَمَعْتُنَا وَقَدْ جُنِّنَّا اِنْتِقامًا
فَضَحِّكَنَا مِنَ الْوُجُودِ مِرَارًا
كَلِمًا أَتَرْعَتْ غَرَامي أَجَدَتْ
وَأَنَا الْمُحْتَسِي مِنَ الْلُّطْفِ أَنَا
وَكَأْنِي ظَفِيرْتُ بَعْدَ سِيَاحَا
مُزِجَّ الْكَفْرُ بِالْيَقِينِ أَمَامِي
فَتَصْوَرْتُ فِي أَشْعَتِهَا الْأَهْلِ

ني فإنَّ التسبِيحَ للْحُسْنِ كَسْبِي
للهوِي بَعْدَهَا مَدَى كُلَّ ذَنْبٍ
مِي كَرِيمٌ تَمِيتُ أَنْدَاءُ عُشْبٍ
وإِذَا بالسَّلَامِ قد صَارَ حَرْبِي
وَيَ هِي الْحَظُّ مَيِّتًا مَوْتَ قَلْبِي
يَا عَلَى قَرْبِهَا خِيَالُ قَرْبِي!

وَتَمَادِيَتُ فِي تَسَابِيحِ إِيمَانِي
وَقَطْفَنَا الْحَلَوَى كَأَنَا أَسْفَنَا
فِإِذَا بِالعِتَابِ فَاجَأَ أَحْلَامِي
وَإِذَا بِالوَصَالِ قد صَارَ هَجْرِي
وَإِذَا هَذِ الْبَقِيَّةِ مِنْ حَلْمِي
إِنْ أَصْنَهَا كَالْمُومِيَاءِ فَقَدْ تَحَلَّمَتِي

الأوهام

في اللَّهُنْ في النَّثِرِ فِي الْقَصِيدِ
فِي كُلِّ عَهْدٍ مِنَ الْعَهْوَدِ
وَكُلِّ حَدِّ مِنَ الْحَدُودِ
كَأَنَّمَا الْعِيْدُ غَيْرُ عِيْدٍ
سَلَافَةُ الْيَائِسِ الْعَمِيدِ
وَكُلِّ حُلُوِّ مِنَ النَّشِيدِ
وَآسِرُ الطَّرِفِ فِي الْوَجُودِ
وَإِنْ يَكُنْ فَتْنَةُ الرَّشِيدِ
إِلَّا رَمْوَانًا إِلَى الْخُلُودِ
وَحَظُّهَا غَايَةُ الشَّرِيدِ!

في العِيْدِ فِي الْحُبِّ فِي النَّشِيدِ
فِي كُلِّ جَزِّ مِنَ الْوَجُودِ
وَكُلِّ حَدِّ مِنَ الْحَدُودِ
نَقَائِضُ الظَّاهِرِ الشَّهِيدِ^١
كَأَنَّمَا الْحُبُّ لِلْسَّعِيدِ
وَكُلِّ سَحْرٍ مِنَ الْقَصِيدِ
وَفَاتُنْ الْلَّفْظِ فِي الْعُهْوَدِ
جَمِيعُهَا لَيْسَ بِالرَّشِيدِ
وَلَيْسَ فِيهَا مِنَ الْخُلُودِ

^١ الشَّهِيدُ: الْأَمِينُ فِي شَهَادَتِهِ.

الأطيار والبراعم

فَالْأَرْضُ مَلْهَى الْحَقِيرِ
مِنَ الظَّلَامِ الْمُغَيِّرِ
كَنْشَاءُ الْضَّمِيرِ
إِلَى الطَّلاقَةِ طَيِّريِ!
مِنَ الْفَضَاءِ الْكَبِيرِ!
رُوحُ الرَّبِيعِ النَّصِيرِ
إِلَى زَمَانِ يَسِيرِ
إِلَى الْوِجُودِ الْخَطِيرِ

حَلَّ الشَّتَاءُ قَطِيرِي
طَيِّري مَعَ النُّورِ طَيِّري
نَشَاتٍ فِي الْأَرْضِ لَكُنْ
إِلَى الطَّلاقَةِ يَمْضِي
كَمْ فِيكِ رَمْزٌ وَرُوحٌ
رَمْزُ الْبَرَاعِمِ تُخْفِي
يَقِرُّ فِيهَا وَلَكُنْ
وَبَعْدَ يَمْضِي شُعَاعًا

هالة القمر

ني صغيراً من القُطْيَرَاتِ تُلْفَى
نا تحايا الأمطار وكفَا ووكفاً
ة في دَقَّةِ الشَّعَاعِ الْعَلِيمِ
بأسرار ذرة الهليوم^١
م بـهذا أـم عـلمـنـا مـحـضـ وـهـمـ؟
في وجـودـ مـحـيرـ كـلـ فـهـمـ؟
نا تـخـفتـ أو رـاوـغـتـ كـلـ شـكـلـ
كـنـ لـقـوـلـ وـلـمـ تـحـدـدـ بـقـوـلـ!

كلما ازدـدتـ بـاتـ كـائـنـكـ الثـاـ
وإـذـاـ ماـ صـغـرـتـ زـادـ حـجـماـ وـقـدـرـ
ذاـكـ سـرـ نـقـيـسـ مـنـ عـلـمـهـ الذـرـ
نـصـدـقـ الحـسـ حـينـماـ نـخـدـعـ الحـسـ
ليـتـ شـعـريـ: أـنـحنـ أـقـرـبـ لـلـعـلـ
أـتـرـىـ كـلـ فـهـمـنـاـ مـحـضـ عـجزـ
تـلـكـ دـنـيـاـ الـأـشـكـالـ،ـ لـكـنـ دـنـيـاـ
هيـ دـنـيـاـ الـخـيـالـ وـالـشـعـرـ لـمـ تـشـ

^١ إشارة إلى الاستعانة بالأشعة السينية على قياس ذرة الهليوم، وقد عرف العلماء سر ذلك من قياس هالة القمر ودلائلها.

الشباب المجدد

وعرفتُ عنه روائع التجديد
يُغنِي الحياة وعُمرها الممدود
منْ غَدَةٍ تحيَا حِيَا عَبِيدٍ
أَمْرُ الْعَمِيدِ يُخَالُ غَيْرَ عَمِيدٍ
وَطَلِيقَةُ بِالنَّهِيِّ وَالتَّأْكِيدِ
فِي كُنْهِهَا كُنْهٌ لِكُلِّ خَلْوَدٍ
عَنْ هَذِمٍ كُلُّ مُسَوَّدٍ وَمَسُودٍ
إِذَا بِهَا تَفَنَّى فَنَاءُ شَهِيدٍ

غَنِيَّتُ لِلْهُرْمُونٍ^١ حُلُو نَشِيدِي
مُتَواضِعٌ فِي عَزْلَةٍ مَوْصُولَةٍ
تَخِذُ الْأَمَانَةَ دِينَهُ بِرَسَالَةٍ
صَمَّاءُ فِي أَسْرٍ وَلَكِنْ أَمْرُهَا
مَسْجُونَةٌ وَلَقَدْ تَضَاءَلَ حَجْمُهَا
لَعْبَتْ بِدُنْيَا الْجَسْمِ حَتَّى إِنَّهَا
لَكُنْمَا الدَّهْرُ الْمَسْلَطُ لَا يَبْنِي
فَإِذَا ضَمَانَاتُ الْحَيَاةِ ضَحِيَّةٌ

* * *

وَيَصُونُهَا بِالنَّقْلِ وَالتَّقْيِيدِ^٢
سَنَدًا، فَيُنْقذُنَا سَخَاءُ قَرُودِ!
وَيَرِي السَّعَادَةَ فِيهِ غَيْرُ سَعِيدٍ
خَلْفَ الْمَظَاهِرِ وَهِيَ مَحْضُ بُرُودٍ^٣

وَالآن شِعْرُ الْعِلْمِ يَنْظُمُ مَعْجَزاً
وَيَنَالُ مِنْ عُمْرِ الْقَرُودِ لِعُمْرِنَا
وَيَزُورُنَا ماضِي الشَّبَابِ مَجَدًا
وَنَرِي بِأَعْيُنِنَا حَقِيقَةَ ذَاتِنَا

^١ الهرمون: عصير الغدة الصماء، والغدد الصماء أقوى موازين الحياة.

^٢ إشارة إلى عملية فورونوف الشهيرة.

^٣ برود: أنوثاب مخططة.

لَأَقَى الْوُجُودَ يَشْعُّ بِالْتَّوْحِيدِ
وَالْخَلْقُ أَطْوَارٌ مِنَ التَّرْدِيدِ
فَنَفَوْسُهُمْ جَمِيعٌ أَبُودَ أَبُودِ
هَتَى لَنْ يُؤْمِنَ بِالْتَّسْلِيسِ مَثَلًا
فَلَكُلٌّ شَيْءٌ بِضَعْفٍ مِنْ غَيْرِهِ
وَالنَّاسُ غَيْرُ النَّاسِ فِي تَكِييفِهِمْ

النور الأسود

تَ صَمِيمَ الْحَيَاةِ فِيمَا صَنَعْتَ
رِ فَأَسْمَعْتَنَا الَّذِي قَدْ سَمِعْتَ
نِ وَطَوَّعْتَ نُورَهَا شَبَهَ آسِرْ
نَا وَفِي النَّبْتِ فِي تِصَاوِيرِ شَاعِرْ
مِ وَوَاقِي عَنَاصِرَ الْخَيْرِ شَرَّا
إِلَى مُعْجَزٍ شَائِي الطَّبَّ سَحْرًا
خَافِقَاتٍ بِمَوْجَكَ النَّفَادِ
مَسْتَقْلٌ بِبَأْسِكَ الْأَخَادِ
مِنْ ضَيَاءِ يَفْوَتْ مَعْنَى الضَّيَاءِ
مِنْ جَنُونِ الْحَيَاةِ وَالْأَحْيَاءِ!

لَمْ تَنْلَكَ الْعَيْنُونُ لَكُنَّا نَلْ
قَدْ هَجَرَتِ الْأَسْلَاكَ وَاعْتَضَتِ بِالسُّخْ
بَلْ نَشَرَتِ الرُّؤْيَ تَهَاوِيلَ لِلْعَيْنِ
وَمَوَادَ الْحَيَاةِ كَوْنَتْهَا فِي
مُرْهَفِ الْحَسِّ مُرْهَفَ الْدُّهْنِ وَالْجَسِّ
تَنْفُضُ السَّقَمَ، تَدْفَعُ الْغُدَّادَ الصُّمَّ
أَيْهَا النُّورُ، أَنْتَ فِي ظَلَمَاتٍ
لَيْتَ شَعْرِي أَتَلَكَ نُورٌ عَمِيقٌ
حِينَما نَحْنُ فِي ظَلَامٍ عَجِيبٍ
شَوَّهَتْهُ مَفَاسِدُ طَائِشَاتُ

الأبُوَّةُ

مُ فتحكي الدِّماءُ سرَّ الأبُوَّةُ
دقِ يُفْشِي لـنَا مَعانِي الْبُنُوَّةُ
مَعْلَنَاتٍ لـأَصْلَهَا هَاتِفَاتٍ
تِ وإنْ كـنـا فـي مُسـوحـةِ الـحـيـاةِ؟
أـيـنـا حـيـنـما عـرـفـنـاه قـبـلـاـ
فـشـاهـت وـشـاهـ فـرـعـاـ وـأـصـلـاـ
ـهـ مـثـيلـ لـخـرـ أوـ مـنـافـسـ
وـالـنـعـيمـ الـأـصـيـلـ أـصـلـ الـفـرـادـسـ
لـيـ عـدـيدـ الصـحـائـفـ الـمـلـانـةـ
ـهـاـ وـيـمـسيـ مـضـلـلاـ إـنـسـانـهـ؟
ـدـ رـخـيـصـاـ مـنـ بـنـدـقـ مـاسـلـوبـ
ـبـقـلـبـ مـعـبـرـ لـلـقـلـوـبـ؟
ـمـ ضـعـافـ قـدـ وـسـدـتـ فـيـ الـلـحـوـدـ
ـتـ لـأـحـلـامـهـ وـحـلـمـ الـوـجـودـ
ـيـاـ بـخـيرـ، فـمـاـ لـكـمـ وـالـسـكـونـ؟
ـهـمـ الـوـالـدـانـ مـجـدـ الـفـنـونـ!

قد رأينا الدماء يكشفها العلـ
ورأينا الخيـالـ فيـ الشـاعـرـ الصـاـ
ورأينا الـحـيـاةـ شـتـىـ صـلـاتـ
ـفـلـمـاذـاـ نـحـارـ فـيـ الـأـدـبـ الـمـيـنـ
ـكـمـ نـرـاهـ وـلـيـسـ يـدـريـ أـبـاهـ
ـمـسـخـ النـاسـ خـلـقـةـ الـأـدـبـ الـحـرـ
ـقـدـ سـئـنـتـ التـقـليـدـ فـالـكـوـنـ مـاـ فـيـ
ـالـجـحـيـمـ الـأـصـيـلـ فـيـهـ وـحـيدـ
ـوـكـتـابـ (ـالـطـبـيـعـةـ)ـ الـفـاتـنـ الـغاـ
ـفـعـلـامـ إـنـسـانـ يـغـفـلـ مـاـ فـيـ
ـنـاهـبـاـ غـيـرـهـ كـمـاـ يـغـنـمـ الـقـرـ
ـأـينـ روـحـ إـنـسـانـ فـيـ الـأـدـبـ الـحـيـ
ـغـمـرـتـنـيـ الـأـطـيـافـ وـهـيـ كـأـيـتاـ
ـكـمـ أـدـيـبـ أـتـىـ بـهـاـ كـإـسـاءـاـ
ـأـيـهـاـ النـاسـ،ـ اـنـهـضـواـ!ـ هـذـهـ الدـنـ
ـالـحـيـاةـ الـحـيـاةـ وـالـأـثـرـ الـحـرـ

المرأة المسلسلة

بَعْثِتِ هَذَا الضِيَاءُ^١
وَإِنْ أَصَّتِ السَّمَاءُ
فَكَيْفِ ذَا الْيَوْمَ أَنْتِ؟
يَرَاكِ مَهْمَا نَأْيَتِ؟
الْيَوْمَ يَعْجَزُ دُونَكُ
وَلَيْسَ يَدْرِي فَنُونَكُ
وَأَنْتِ كَالْمَجْهُولُ
فِي حِينَ تَكْبُو الْعُقُولُ
الْمَرْأَةُ الْجَبَّارَةُ
وَلَمْ تَزُلْ سَحَّارَةُ
مُرْكَبًا لَا يَحْلُ
تَنَاوِبُ الْعِلْمَ جَهْلُ
عُمْرًا لِمَثْلِكِ يُذَكِّرُ
شَيْءٌ لِأَخْتِكِ يُؤْثِرُ
تَقْوِيدُنَا بِالسَّلاسِلُ

مِنْ نَحْوِ مَلِيُونِ عَامٍ
فَنَحْنُ لَسْنَا نَرَاكِ
نَرَاكِ أَمْسًا بَعِيدًا
وَأَيُّ جَبَّارٍ فَكِيرٍ
يَا لِلْخِيَالِ الْمَوَاتِيِّ
يَرَاكِ لَا مُثْلَ رَاءٍ
يَرَاكِ رَؤْيَا عَيَانٍ
وَيَعْبُرُ الدَّهَرَ شِعْرًا
كَذَّاكِ تَحْكُمُ فِينَا
حَاكِتِكِ أَسْرًا وَنُورًا
حَاكِتِكِ لَغْرًا عَمِيقًا
وَكُلَّمَا لَاحَ عِلْمُ
لَيْسَ أَلْوَفُ الْأَلْوَافِ
وَمَا عَوَاطَفُ دُنْيَا
تَشْكُو السَّلاسِلَ بَيْنَا

^١ يبلغنا النور من سديم المرأة المسلسلة في ٨٥٠ ألف عام.

الكائن الثاني

وكانا اليومَ عَبْدُ
حاكي الأخيرُ الأوائلُ!
وكلنا ليس يَدرِي
أتلكَ للعصرِ تُنْسَبْ
أمِّن قرونٍ تَرَاءَتْ
بعصرنا وهي تَحْجَبْ؟

تحطيم الذرّة

سَرَّ العناصرِ عادَ للأحفادِ
وتراجعوا في حُرقَةٍ وسهامِ
في قوَّةِ الإصدارِ والإيرادِ
عُلوَّيَّةٍ عاشَتْ على الآباءِ!
صُورًا مِن الطَّاقاتِ والأمَادِ
يَنْهَدُ تحتَ مَصائبِ عَوادي
ويَسِيرُ فِي الأَشْوَاقِ وَالْأَحْقَادِ
ما بَيْنَ أَحْيَاءٍ وَبَيْنَ جَمَادِ
خَلْقُ الْأَصْدَادِ عَلَى أَصْدَادِ
وَفَوَادُهَا ثَاوٍ بِكُلِّ فَوَادٍ
خَلْفَ الْوَجُودِ وَكُلُّ مَا هُوَ بَادِ
بَيْنَ الْعُقُولِ كَحَالٍ كُلُّ طَرَادِ
وَيَصُوغُهَا فِي حِذْقَهِ الْمُتَمَادِي
مِثْلَ الْجَبَالِ تَهُونُ لِلصَّيَادِ!
فِي الغَيْبِ يُدْهَلُ حِذْقَ كُلُّ رَشَادِ
لِعَبٌ، وَلِيُسْ جَهَادُنَا بِجَهَادِ!

حَجْرُ الْفَلَاسِفَةِ الَّذِينَ تَنَاوَبُوا
كَمْ دَاعِبُوهُ خُرَافَةٌ سُحْرِيَّةٌ
وَالْيَوْمَ عَادَ مُجَدّدًا وَمُحَقَّقًا
فِي الْكَهْرَبَاءِ، وَيَا لَهَا مِنْ قَوَّةٍ
قَهَرَتْ نَوَى الذَّرَّاتِ حَتَّى حُطِّمَتْ
وَكَانَهَا الْقَلْبُ الْمَلِيءُ عَوَاطِفًا
فِيَذِيغُ فِي دُنْيَا الْمَشَاعِرِ وَجَدُهُ
وَيُبَثُّ فِي صُورِ الْفَنُونِ مُحَوِّلًا
وَكَذَلِكَ الذَّرَّاتُ هَدْمٌ بِنَائِهَا
لِبِنَاتُ هَذَا الْكَوْنِ مِنْ لِبِنَاتِهَا
فِيهَا الْكَهَارُبُ كُلُّ مَا هُوَ قَائِمٌ
مِنْ ذَا يُقْدِرُ وَالْحَيَاةُ تَسَابُقُ
كِيفَ الْعَدُّ الْحُرُّ الْجَرِيُّ يَهُدُّهَا
وَيَهُونَ تَشْيِيدُ الْبَنَاءِ لِعُلُمهِ
مِنْ ذَا الَّذِي يَدْرِي؟ فَكُمْ مِنْ مُضْمَرٍ
وَلَقَدْ يَرَى الْأَحْفَادُ أَنْ هَمُومَنَا

الْعُبَابُ

تَمَلَّكُه «الْتَّأْدُبُ» بِالنَّفَاقِ!
حَيَا تُهْمَوْ شَقَاقُ فِي شَقَاقِ
كَانَ اللَّؤْمَ أَجْمَلُ مَا أَلَقَى!
رَأَيْتُ الْبَحْرَ زَخَّارَ الْمَرَاقِي
وَلِيُسْ لَهُمْ بِهَا أَدْنَى لِحَاقِ
وَلَا عِلْمُوْ بِقَانُونِ الْبَوَاقِي^١
ضَخَامُتُهُ عَنْ «الْأَدَبِ» الْمُرَاقِي؟
جَهْوَلًا لِلْحَقِيرَاتِ الدَّقَاقِ^٢
أَظْلَلُ أَنَا الْعُبَابَ لِكُلِّ سَاقِي
فَمَا لِلْسُّمِّ فِي الْكَأسِ الدَّهَاقِ؟!
تَرَدَّدُوا فِي اِنْزِلَاقٍ وَانْزِلَاقِ?
عَلَى مَوْجِي، وَإِنْ غَنِمُوا اِنْتَلَاقِي
بِإِشْفَاقِي بِبَيْئَاتِ النَّفَاقِ

وَكُمْ مِنْ عَائِبٍ حِلْمِي بِعَهْدٍ
هَوَى فِيهِ الصَّغَارَ صَغَارَ قَومٍ
وَكُمْ جَدُوا، وَكُمْ كَادُوا وَكَادُوا!
فَقَلْتُ لِلَّائِمِي: دَعْهُمْ فَإِنِي
فَلِيسَ لَهُمْ عَلَى الْأَمْوَاجِ شَأْنٌ
لَقَدْ صَغَرُوا فِيمَا الْأَمْوَاجُ تَدَرِي
فَمَا ذَنَبَيْ إِذَا أَدْبَيْ تَحَلَّتْ
يَفِيْضُ كَشَاسِعَ الْأَمْوَاجِ نُورًا
لَئِنْ ضَجَّوْ فِيمَا أَغْنَوْا، وَإِنِي
وَإِنْ زَعَمُوا النَّبَالَةَ وَالْتَّسَامِي
وَمَا لَهُمُوْ وَقَدْ سَرَقُوا فُنُونِي
غَفَرْتُ لَهُمْ، وَإِنْ رَقَصُوا وَمَاجُوا
غَفَرْتُ لَهُمْ؛ فَإِنَّ الْعَجَزَ أَوْلَى

^١ إشارة إلى القانون الاستقرائي المعروف.

^٢ إشارة إلى ترك الأمواج الضوئية الطويلة لحقير الأشياء.

